



* سر الاعتراف او التوبة

تعلمنا في فترة التهيئة للصوم ان الصوم هو زمن التوبة ، به نعلن توبتنا كالعشار وعودتنا الى احضان الأب كالابن الضال. يتكثف الكلام عن التوبة في هذا الموسم ليشكل الانطلاقة لنا على مدار السنة لكي نكون مع الله في توبة حقيقية متخلّين عن خطايانا وانانيتنا وكراهيتنا. في الصوم نتذوق شيئاً من طعم الملكوت. بكلام آخر ، نتمرس في الصوم على التوبة لكي نعيشها ونحياها دوماً في حياتنا. في هذا الاطار يأتي كلامنا اليوم ، في هذا الزمن المقدس ، عن سر الاعتراف او سر التوبة ، لكي نكون مستعدين ومستحقين ان نحتفل بقيامة الرب ، بل اكثر من ذلك ان نحياها فعلاً في داخلنا.

هذا السر اصيل في الكنيسة الارثوذكسية منذ فجر تأسيسها الى اليوم ، وكل مؤمن مدعو ان يتممه. ان اول ما بشر به الرب يسوع ودعا اليه هو : " توبوا فقد اقترب ملكوت السموات" (متى ٤: ١٧) ، ويوحنا المعمدان كرر قائلاً : " اصنعوا اثماراً تليق بالتوبة" (متى ٣: ٨)

الشرط الاساسي للحصول على ملكوت الله هو التوبة ، والمقصود التوبة المستمرة وليس التوبة بالمعنى الانبي . التوبة كلمة يونانية (Metania) تعني تغيير الذهن والقلب والارادة. التوبة ليست فقط ان نندم ونحزن على خطايانا لاننا قد نعود اليها غداً ، بل ان نغير ذهننا ونقلب حياتنا ومفاهيمنا لنعيش حياة جديدة مع الله. ولهذا فان الآباء القديسين لا يتكلمون عن لحظات توبة بل عن حياة توبة ، وجهاد حتى نهاية الحياة ، حتى آخر نفس.

يحكى عن القديس سيسيوي الكبير (٣٣٩-٤٢٩) الذي عاش في صحراء مصر ، انه لما كان على فراش الموت كان تلاميذه يحيطون به ورأوا وجهه يشع نوراً (وكان في حالة اختطاف روعي) فقال لهم انه في حضرة القديس انطونيوس. وبعدها ازداد وجهه اشراقاً ولمعناً قال انه في حضرة القديسين. اخيراً صار لمعان وجهه قوياً لدرجة لم يعودوا يستطيعون النظر اليه فقال لهم : " انا في حضرة والدة الاله " وصار يتمم صلاة يتضرع فيها الى العذراء طالباً شفاعتها من اجل ان لا يموت بل ان يعيش زمناً آخر لكي يتسنى له ان يبدأ توبته. هذا القديس العظيم الذي قضى حياته في الاصوام والصلوات والاسهار يطلب فرصة حياة اخرى لكي يحقق توبته ، لان القديس الاصيل لا يستطيع الا ان يرى نفسه صغيراً امام

قداسة الله ، وكلما تقدم الانسان في الحياة الروحية كلما ازداد وعيا انه بحاجة الى الجهاد اكثر لكي يصل الى ملء قامة المسيح.

" الله لا يشاء موت الخاطيء بل "يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون" (١ تيموثاوس ٢ : ٤). ان نتوب يعني ان نعود من الموت الى الحياة ، لذلك يقول الرب على لسان نبيه حزقيال : " اذا رجعت الشرير عن شره الذي فعل وعمل حقا وعدلا فهو يحيي نفسه ... من اجل ذلك توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الاثم مهلكة ... لانني لا اسر بموت من يموت يقول السيد الرب. فارجعوا واحيوا " (حزقيال ١٨ : ٣٠ و ٣٢). الله ينتظر عودة كل واحد منا. هذا نتعلمه من مثل الابن الشاطر او الضال (لوقا ١٥ : ١١-٣٢). فعندما تاب الابن وقرر العودة الى ابيه ، كان الاب في حالة انتظار دائمة لعودته بدليل انه لما " جاء (الابن) الى ابيه واذ كان لم يزل بعيدا رآه ابوه فتحنن عليه وركض ووقع على عنقه وقبله" (آية ٢٠) وألبسه حلة جديدة وخاتما وذبح له العجل المسمن الذي كان يربيه منتظرا عودة ابنه الضال ليحتفل بعودته "لانه كان ميتا فعاش".

مثل الابن الشاطر في انجيل لوقا يأتي ضمن سلسلة امثال ثلاثة موضوعها التوبة وعودة الخطاة (١٥ : ١-١٠) المثلان الآخران موضوعهما الخروف الذي ضل فترك صاحبه التسعة والتسعين وذهب سعيا وراءه ، والارملة التي فقدت الدرهم فأضاعت القنديل الزيت ودعت الجيران للاحتفال وجود الدرهم. عمليا انفقت مالا على القنديل والجيران اكثر من قيمة الدرهم الذي وجدته ولكن العبرة " انه هكذا يكون فرح عظيم قدام الملائكة (في الملكوت) بخاطيء واحد يتوب " (لوقا ١٥ : ١٠).

بالنسبة لنا ، المهم ان نتوب قبل فوات الاوان وقبل ان يدركنا الموت فجأة ، وان لا نجزع فالله رحيم يقبل توبة الجميع. المهم ان تعود قبل ان تغلق ابواب العرس ، ابواب الملكوت. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في عظة الفصح: " من عمل من الساعة الاولى فليقبل حقه العادل ، من قدم الساعة الثالثة فليعيد شاكرًا ، من وافى بعد الساعة السادسة فلا يشك مرتابا فانه لا يخسر شيئا ، من تخلف الى الساعة التاسعة ليتقدم غير مرتاب ، من وصل الساعة الحادية عشر لا يخشين الابطاء ، لأن السيد كريم جواد ، فهو يقبل الاخير كما يقبل الاول ، يرحم من جاء اخيرا ويرضي من جاء اولًا ، يكرم الفعل ويمدح العزم ، فادخلوا كلكم الى فرح ربكم."

لقد قلنا ان التوبة هي وعي خطيئتنا ، الخطيئة التي تكسر اللحمة بيننا وبين الله ، والتخلي عنها كي نعود الى حياة الشركة معه. الانسان المسيحي وبحسب الرسول بولس مدعو الى النمو الدائم والمستمر نحو الكمال ، " الى ملء قامة المسيح " (افسس ٤ : ١٣) .

خطيئتنا اننا لا نعي هذه الدعوة : ان نكون كاملين ، ان نسعى الى الكمال على صورة يسوع الكامل. افكارنا واعمالنا واقوالنا كلها تسير في الاتجاه المعاكس لهذه الدعوة وهذه هي الخطيئة. لذلك كلنا مدعوون ان نغير انفسنا ، ان نتوب ونعود الى الرب ونطلب بصدق ترك الخطيئة والشيطان ، ونحزم امرنا كالابن الشاطر عندما وعى خطيئته قال في نفسه اني اخطأت الى السماء وابي وقام وعاد واعلن امام ابيه والجميع " يا ابي اخطأت الى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد ان ادعى لك ابناً " (لوقا ١٥ : ٢١). اعترف بخطيئته ولم يسكت عنها. التوبة الصادقة تشترط الاعتراف بالخطايا.

يقول الرسول يوحنا : " ان قلنا انه ليس لنا خطيئة نضلّ انفسنا وليس الحق فينا. ان اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم. ان قلنا اننا لم نخطيء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا " (١ يوحنا ١ : ٨-١٠). ويقول الرسول يعقوب : " اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لاجل بعض لكي تشفوا " (يعقوب ٥ : ١٦). اذا الاعتراف مهم لكي نحصل على الغفران.

كلنا نعي انه يجب ان نعترف بخطايانا والرب يغفر لنا. السؤال لمن نعترف؟ جواب بعض الناس : اعترفنا يتم بيننا وبين الله وهذا يكفي ، فالانسان لا يحتاج الى واسطة بينه وبين ربه. اما جواب الكتاب المقدس الذي هو جواب الكنيسة ايضا فهو ان الاعتراف لله يتم في الكنيسة التي هي جسد المسيح ، الكنيسة حيث الله معنا بيسوع المسيح في الروح القدس. فاذا كنا نأتي الى الكنيسة لكي نعتمد ونقبل الميرون المقدس ونشترك في المناولة ونتزوج ... أي نحصل على نعمة الله، ليس غريباً ان لا نأتي الى الكنيسة لنعترف بخطايانا وننال غفران الله؟

الخطيئة ليست امراً شخصياً يتعلق بالشخص وحده او يتعلق به مع الله فقط ، بل تخصصه وتخص الله والكنيسة معاً. الخطيئة لها ابعاد ثلاثة لاننا عندما نخطيء نحن نخطيء تجاه الله وتجاه انفسنا وتجاه الآخرين أي الكنيسة ، وهي ابعاد مترابطة لا تنفصل عن بعضها. الجميع يفهم ويعي كيف يخطيء الانسان تجاه الله بعصيان او امره او كيف يخطيء تجاه الآخرين ، ولكن معظمنا لا يعي اننا عندما نخطيء الى انفسنا تكون خطيئتنا تجاه الكنيسة ايضا، حتى لو كانت الخطايا شخصية ومحجوبة عن الآخرين. الخطايا التي نقترفها لا تؤذي الله بحد ذاته - ما عدا تلك التي نخون فيها محبته - بقدر ما تؤذي وتجرح اخوتنا اعضاء الجسد الواحد. الكنيسة جسد المسيح وكل واحد عضو في هذا الجسد لاننا كلنا نشترك في الخبز الواحد (١ كو ١٠ : ١٧) و" نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح واعضاء بعضها لبعض كل واحد للآخر " (رو ٨ : ٥) . لذلك عندما يخطيء الانسان فهو يؤذي الجسد كله لانه "

ان كان عضو واحد يتألم فجميع الاعضاء تتألم معه " (١ كو ١٢ : ٢٦). عندما تخطيء ، انت تبتتر جزءاً من الجسد الذي رأسه المسيح ، وهذا الجزء هو ايضاً مسؤولية سائر اعضاء الجسد يتألمون معه إن تألم ويفرحون معه إن فرح (١ كو ١٢ : ٢٦) ومهمتهم مساعدته للخروج من خطيئته.

" ايها الاخوة ان انسبق انسان فأخذ في زلة ما فأصلحوا انتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً الى نفسك لئلا تُجرب انت ايضاً. احملوا بعضكم اثقال بعض وهكذا تمّموا ناموس المسيح " (غلا ٦ : ١-٢). لذلك عندما نتوب علينا ان نعترف بخطايانا امام الله في الكنيسة ، ونتقبل الخلاص الكنسي لا الفردي. اننا لا نخلص كأفراد بل كاعضاء في جسد المسيح الذي هو الكنيسة.

هذا الاعتراف في الكنيسة الاولى كان علنياً ، امام كل اعضاء الكنيسة : "وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرّين ومخبرين بافعالهم" (اعمال ١٩ : ١٨) ، لان المسيحيين الاولين وعوا وحدتهم العضوية مع سائر اعضاء جسد المسيح وبالتالي وعوا ان الله يسامحهم بواسطة كنيسته. وكانت الكنيسة كلها تصلي من اجل هؤلاء الخطاة لكي يسامحهم الله. ورغم كون الاعتراف علنياً ، كان الاسقف او الكاهن وحده يقرأ صلاة الحل من الخطايا. هذا السلطان اعطي للرعاة عبر وصية الرب لتلاميذه بعد قيامته من بيت الاموات : "نفخ فيهم وقال خذوا الروح القدس. من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم أمسكت" (يو ٢٠ : ٢٢-٢٣) . الرب يسوع اعطى هذا السلطان لتلاميذه والتلاميذ لخلفائهم في الكنائس التي تأسست عبر الروح القدس وهو نفسه يرشد الكنيسة كل وقت الى انقضاء الدهر. الكاهن عند سيامته يُمنح نعمة الروح القدس وهذا يعطيه سلطان حل الخطايا الذي يحصل باسم الجماعة الواحدة التي هي جسد الرب يسوع.

ذكرنا ان الاعتراف في الكنيسة الاولى كان يتم امام كل الجماعة الكنسية وكان الكاهن وحده يمنح الحل من الخطايا. مع مرور الزمن ومع ازدياد عدد المسيحيين ولصعوبات عملية بسبب فقدان الوعي الكنسي للعضوية الكنسية الواحدة وبسبب دخول اعداد هائلة من الناس الى المسيحية وبسبب الخوف من افشاء ما اعترف به التائبون لمن لا علاقة لهم بالكنيسة تحوّل الاعتراف تدريجياً من العلن الى السر عبر الاعتراف الى الكاهن (كاهن الرعية بالتحديد) بالنيابة عن كل اعضاء الكنيسة. فالكاهن هو المسؤول عن تلك الجماعة والساھر على هيكل الرب ومهمته ان يراقب بالأب لا يقترب احد الى مائدة الرب دون استجفاق ويسعى لان يظهر وجه المسيح في هذه الجماعة. (نحن عندما صرخنا له مستحق يوم سيامته ارتضينا ان يتقدما في صلاة ويرفع تضرعنا وتوبتنا الى الله).

الكاهن الراعي ينوب عن الجماعة ونحن نعترف له ليس لان لديه قوة غفران الخطايا كخص بحد ذاته ، بل لان لديه موهبة ونعمة خدمة الوقوف امام الله في الجماعة وكأنه يمثل الرب الحاضر في وسطنا عبر روحه القدوس. مهمته ان يرفع اعترافنا وتوبتنا الى الله ويمنحنا نعمة التقديس . لذلك اذا اردنا ان نحلل خدمة سر الاعتراف في الكنيسة كما هي أصلا فان الكاهن لا يقف اما المعترف وجها لوجه او وراء ستارة او في " كرسي اعتراف " مظلمة بل يقف الى جانبه امام ايقونة السيد. وبالتالي يقدم الانسان اعترافه الى الله مباشرة عبر الوسيط الاوحد يسوع المسيح (١ يوحنا ٢: ١) بحضور ممثل الجماعة الكنسية أي الكاهن. فبعد ان يسجد المؤمن المتقدم الى الاعتراف امام ايقونة السيد ثلاث مرات راسما اشارة الصليب على وجهه وقائلا في ذاته " يا الله اغفر لي انا عبدك الخاطى " يركع على ركبتيه ويرفع يديه الى فوق ويقول : " ايها الأب رب السماء والارض ، إني اعترف لك بكل خفايا وظواهر قلبي وذهنى التي فعلتها حتى هذا اليوم الحاضر. لهذا اطلب اليك ايها الديان العادل الحنون ان تغفر لي وتمنحني نعمة حتى لا اعود الى الخطيئة . " فيقول له الكاهن بصوت هادىء : " ايها الاخ لا تخجل مما اتيت لاجله الى الله والي لانك لست تعترف لي بل لله الذي انت الآن منتصب امامه".

وبعد ان يسمع الكاهن اعتراف التائب عن خطاياه بقلب منسحق يرشده ثم يقول : " يا ولدي الروحي المعترف لحقارتي ، اني انا الحقير الخاطيء لا استطيع ان اغفر خطيئة على الارض لكن الله هو الذي يغفر الخطايا اما نحن فيما إنا واثقون بذلك الصوت الالهي الصائر للتلاميذ بعد قيامة ربنا يسوع المسيح من الاموات والقائل "من تركتم خطاياه تركت له ومن امسكتموها عليه امسكت". نقول ان كل ما اعترفت به لحقارتي الذليلة وكل ما لم نقله عن جهل او عن نسيان مهما كان ، ليسامحك الله به في هذا الدهر وفي الدهر الآتي.

بعد ذلك يضع طرف بطرشيلاه على رأس المعترف وينتو الافشين التالي : " الاله الذي صفح لدواد عن خطاياه بواسطة ناثان النبي لما اعترف بها ولبطرس لما ندب بمرارة جحوده وللزانية لما دمعت على قدميه وللعشار والابن الشاطر ، هو يصفح لك بواسطتي انا الخاطيء عن جميع خطاياك في الدهر الحاضر وفي الدهر الآتي ويؤهلك للوقوف امام منبره الرهيب بغير دينونة. واما ما اعترفت به من الذنوب فلا تهتم له البتة بل اذهب بسلام." هكذا نفهم في الكنيسة انه عبر الاعتراف للكاهن نحن نعترف لله وللكنيسة كلها والرب يمنحنا الغفران بواسطته.

رغم الوعي الكنسي بالتزام اعضاء الجسد الواحد بعضهم بعضا يبقى من يسأل : الا يستطيع الله ان يغفر لنا اذا اعترفنا له سرا في قلبنا ؟ طبعا الله يستطيع لكن الله الذي أعلن

نفسه للناس اعلن ايضاً ان التوبة تفترض انفتاح الانسان على الآخرين ، كشف حقيقة ذاته امام الجميع وطلب الغفران من الكل. نحن دوماً نتستّر وراء هذا السؤال لكي لا نذهب الى الاعتراف وذلك لعدة اسباب : نحن نخاف من الكاهن لاننا نراه انساناً مثلنا نتعاطى معه ونواجهه في حياتنا العملية اليومية. لذلك يصعب علينا نفسياً ان نعترف له لان انا ، كبريائنا، لا تسمح لنا بذلك ، بينما الله لا نراه حسيماً ولا نلمسه ولذلك ليس من حاجز نفسي يفصلنا عنه ونشعر بحرية اكبر في الاعتراف له ولا نخجل امامه كما نخجل امام الكاهن. يقول الآباء القديسون انه اذا كنا نخجل من الكاهن الا يجدر بنا ان نخجل اكثر من الله؟ اذا كنا نخجل ان نقول خطايانا للكاهن اليوم خوفاً من ان يعرفها شخص واحد ، لا بد اننا سوف نشعر باحراج كبير يوم الدينونة عندما يفتح الله الكتب وتعلن الاعمال امام الجميع ، عندها سوف يعرف الجميع ما فعلنا في حياتنا.

ان خبرة الانسان المسيحي في الاعتراف هي خبرة يوم الدينونة الاخيرة. انه يسعى ويجاهد خلال حياته لكي يحل عليه هذا اليوم يوم نور ليس يوم نار. لذلك يسعى ان يتطهر اليوم في الكنيسة قبل الوقوف في الدينونة الاخيرة. الاعتراف يريح الانسان لانه يساعده على تجاوز الدينونة قبل الدينونة. ان حياة الانسان هي منحة من الله ولا بد ان يأتي وقت يقف فيه اما الله. وطالما لا نعرف متى يأتي الانقضاء ومتى ننقل من هذه الحياة ومتى يفاجئنا الموت ،

أي لا نعرف " متى يأتي السارق " فاننا مدعوون دوماً للتوبة لئلا يدركنا هذا اليوم ولا نكون مستعدين. يقول لنا آباؤنا القديسون معلّموا الكنيسة بان الانسان الذي يقم ذاته في الاعتراف امام الله يدان قبل الدينونة . لذلك عندما يتقدم احد للاعتراف ينتابه حزن وخجل لانه يشعر انه يقف امام منبر الله. واذ يُدان الانسان قبل الدينونة فهو يتحرر من ثقل الخطيئة ويشعر بالسلام والرجاء انه سيمثل امام المنبر الرهيب متحرراً من هذا الثقل. لذلك يحاول الشيطان ان يبعدنا عن الاعتراف بالخجل وغيره لكي لا نخلص. بواسطة سر الاعتراف والتوبة يضع الله بنعمته نهاية لخطيئتنا على الارض فلا ترافقنا الى الحياة الابدية.

قد يقول بعضهم كيف نعترف للكاهن وهو انسان خاطيء مثلنا ؟ من انا لاقدر اذا كان

هذا الانسان او ذلك ، كاهنا ام علمانيا ، خاطئاً ام لا " لا تدبوا لكي لا تدانوا " (متى ٧: ١) اهتم اولاً بنفسك واسع الى خلاصك ، والله سوف يتدبر امر باقي الناس بمن فيهم الكاهن. لا تتله بامر ثانوية بالتستّر وراء الغير لاختفاء خطيئتك. هذه خطيئة الانسان الكبرى منذ آدم وحواء. عندما سأل الله آدم لماذا اكل من الشجرة ، كان جواب آدم: "المرأة التي جعلتها معي هي اعطتني من الشجرة فأكلت" (تكوين ٣: ١٣). القى آدم اللوم على الله وعلى المرأة التي

اعطاه الله اياها لكي يتهرّب من فعلته. وهكذا نحن ننلهى بخطايا الكاهن لكي نتغاضى عن خطايانا ونسترها . ولكن من اجل الحق ، فان الله سوف يدين الجميع بمن فيهم الكاهن اذا كان خاطئاً. ومن يعرف اكثر يُدان اكثر ولكن لندع الدينونة لله ولا نتستر بخطايا غيرنا لاننا ان كنا نعرف التمييز بين الخطأ والصواب ولا نفعل الصواب فالدينونة آتية لا محالة.

+ صعوبات الاعتراف :

عندما نمرض نقصد الطبيب الذي هو انسان مثلنا ويمرض ايضاً ، ولكننا نذهب اليه لانه يساعدنا في مرضنا ويعطينا الدواء الشافي لنتخلص منه. اليست الخطيئة مرضاً ؟ لكنها مرض روحي نحتاج الى طبيب لمعالجته. وكما ان الله هو الذي يشفي امراضنا الجسدية عبر الطبيب ، كذلك الله هو شافي امراضنا الروحية عبر الكاهن. المهم ان نعي انه لايمكننا رؤية بشاعة خطايانا الا عندما نراها بأعين الذي نعترف له وقلبه وعقله. نحن لا نعي قباحة الخطيئة الا اذا وقفنا اما مساو لنا ، شخص مثلنا.

مهمة الكاهن هي مثل مهمة الطبيب : عندما نصاب بوعكة صحية نقصد الطبيب ويبدأ بطرح الاسئلة الكثيرة التي تساعد في اكتشاف سبب مرضنا لكي يستطيع وصف العلاج. وهو لا يعالج عوارض المرض بل ما يسبب هذه العوارض أي اصل المرض. هكذا الكاهن في الاعتراف يحاول معالجة اصل مرضنا الروحي. لذلك يلزم الاعتراف في الكنيسة الارثوذكسية ارشاد روحي لكي يساعد الانسان المعترف على التخلص من امراضه الروحية. مهمة الكاهن ان يساعدنا على الخروج مما نحن فيه. الكاهن لا يهتم اذا كنت تشتم عشر مرات او خمسين مرة ، المهم ان يعرف ان لديك مشكلة الشتم فيعلمك كيفية ضبط اللسان. الكاهن كالطبيب يجعلك تعي خطيئتك وبذا تقطع نصف الطريق نحو الملكوت ويبقي ان تصلح ما انت فيه. يجب ان نعي خطيئتنا لكي نعمل على اصلاحها والا فالمشكلة كبيرة جداً. احدى اهم صلوات الصوم الكبير هي صلاة التوبة للقديس افرام السرياني التي نقول فيها "... نعم يا ملكي والهي هب لي ان اعرف ذنوبي وعبوبي ..."

احدى صعوبات الاعتراف ايضاً اننا جميعنا لا نملك تواضعاً حقيقياً في داخلنا. كبرياؤنا لا يسمح لنا بالاعتراف بالخطيئة. اين عنفواننا ؟ اين كرامتنا ؟ ان الكلام عن العنفوان والكرامة تافه امام الكلام عن الدينونة لانه حينها سوف تُفصح اعمالنا امام الجميع ، فالأفضل ان نتواضع ونرمي اتقالنا امام الكاهن لكي يمنحنا الله الغفران واسطته. التواضع تجاوز للانا وللمتمحور حول الذات والاكتفاء بها. من يعتقد انه مكتفٍ بذاته لا يستطيع الاتحاد بالله حقيقة لان مركزه هو ذاته وليس الله. بالاعتراف وحده يحقق الضربة القاضية على

الاكتفاء بالذات وعلى الانانية ويبدأ بالحصول على علاقة وشركة مع الله والكنيسة جسد المسيح. الرب يسوع مات على الصليب الذي كان مخصصاً للقتلة والسارقين واحتمل الالهانة الكبرى متواضعاً (فيلبي ٢ : ٨) ولم يفتح فاه.

الا نشعر في كثير من الاحيان بالحاجة الى قول امورنا الخاصة ومشاكلنا وخطايانا الى شخص نثق به ، نضع مصيرنا بين يديه ونأتمنه على اسرارنا وحياتنا الارضية. فكيف لا نذهب الى الكاهن حامل النعمة المقدسة ونضع بين يديه مصيرنا واسرارنا وحياتنا الارضية والملكوية ايضاً. يجب ان يكون الكاهن صديقنا لكن البعض قد يقول ان المشكلة هي مشكلة ثقة. فنحن نخاف ان يخبر الآخرين ، كما نخاف من حكمه علينا. سؤالنا هو كيف نثق بشخص ولا نثق بآخر ؟ المشكلة كبرياؤك. انت تختبر ثقة آخرين من خلال التجربة وانت تربي الثقة بينك وبين كاهن رعينك ، ابيك الروحي ، وتجعله صديقك نثق به ويثق بك. ثم الاتعلمون ان القوانين الكنسية الموحاة بالروح القدس تمنع على الكاهن البوح بما قيل له في سر الاعتراف مهما كانت الظروف ، حتى انها تمنعه من الذهاب الى المحكمة للادلاء بشهادته حتى ولو كان مطلعاً على الحقيقة ما. هكذا تفهم الكنيسة سر الاعتراف انه سر يدفن مع الكاهن ولا احد يعرف به.

+ التهيئة للاعتراف :

لكي نعترف جيداً يجب ان نهىء انفسنا جيداً. التهيئة تساعدنا على رؤية انفسنا كما نحن حقيقة في عيني الله. عندها فقط نستطيع ان نطلب بصدق واخلاص الغفران من الله. التهيئة تتطلب فحصاً صادقاً للذات لكي نعي خطايانا. نفحص بتدقيق مسيرة حياتنا : فكرنا واقوالنا وافعالنا. المشكلة اننا لا نعرف الميزان الذي تقاوس به الامور فنقيسها بحسب معايير البشر والمجتمع التي قد تكون بعيدة عن المسيحية بعد السماء عن الارض. مثلاً: حسب مقاييس البشر من الطبيعي ان لا تحب من لا يحبك ، او لا تتكلم مع الجميع ، لكن حسب مقاييس يسوع : " احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم ، لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السموات " (متى ٥ : ٤٤-٤٥)

قد نقول اننا نذهب الى الكنيسة كل احد ونصوم يومي الاربعاء والجمعة ونطبق الوصايا العشر. كل هذا جيد لكن هل نصلي ونصوم كما علمنا الرب " في الخفاء " (متى ٦ : ٥-١٨) ؟ وهل نطبق الوصايا العشر كما هي في العهد القديم ام كما اكملها يسوع ؟ في القديم كانت الوصية تقول لا تقتل اما مع يسوع " فمن قال لاخيه يا احمق يكون مستوجب نار جهنم "

(متى ٥: ٢١-٢٢) . يكفي ان تمحو كيان الآخر بكلمة واحدة لكي تقتله. فكم من خطيئة نرتكب في اليوم دون ان نشعر ؟

النقطة الاساسية هي ان نفحص انفسنا بتدقيق وجدية وشجاعة وصدق ورغبة حقيقية بالمعرفة ، وهذا يتطلب معرفة جيدة لحياة يسوع وتعاليمه. علينا ان ندرس الكتاب المقدس وخاصة العهد الجديد بدقة لكي نستطيع ان نفحص انفسنا حسب مقاييس مسيحية. قد ينصح بعض الاباء بقراءة المقاطع التالية من الانجيل قبل الاعتراف. العظة على الجبل (متى ٥-٦-٧ ، لوقا ٦) ، الرسالة الى اهل روميه (١٢-١٣-١٤) ، الرسالة الاولى الى كورنثوس (١٣) ، رسالة يوحنا الاولى. اضافة الى ذلك يجب ان نتحضر للاعتراف بالصوم والصلاة وهما سلوكان اساسيان لتوضيح رؤيتنا وجعلنا نسيطر على افكارنا ونضعها في اتصال حي مع الله الذي يهبنا نعمة رؤية الامور على حقيقتها. ومعظم كتب الصلوات تحوي صلوات ما قبل الاعتراف (مزمور ٣٢، ٣٧، ٥١، ١٠٢، ١٣٠، ١٤٣).

اخيراً التهئية تتطلب منا ان نصلح انفسنا ونقوم حياتنا. مثلاً لا نستطيع ان نعترف بالسرقة اذا لم نرجع ما سرقناه لاصحابه ، او الاعتراف بالكرهية دون الصفح... يجب ان نقوم حياتنا بهدوء وسرية وصمت وتواضع وليس بتقى كاذب يغش الناس لكنه واضح "لابينا الذي في السماء وهو يجازينا علانية " (متى ٦: ٤)

كيف نعترف وبماذا ؟ ان سبب ذهابنا للاعتراف هو نيل الغفران من الله. كما يمكننا طلب النصح والارشاد من الكاهن الذي نعترف له بخطايانا. ولكن يجب ان يبقى واضحاً لنا ان الاعتراف ليس " دردشة " روحية حميمة او نوعاً من " التحليل النفسي " الديني. انه وقوف امام الله مع التطلع لكي يقبلنا بمحبة في ملكوته. قد يكون الارشاد الروحي جزءاً من الاعتراف، وهو امر مهم ولكن يجب الا يقتصر الاعتراف على الارشاد بل يجب اولاً ان نعترف بخطايانا. في الاعتراف نقر بخطايانا ونتكلم عنها دون الغوص في تفاصيل لا علاقة لها بالموضوع او التحدث بالعموميات فقط. يجب ان تكون لدينا الجرأة لنعلن خطايانا دون " لف ودوران " . نريد ان نشدد ان علينا ان نعترف بخطايانا نحن وليس بخصايا غيرنا. انه سهل جداً ان نقع في هذا الخطأ الجسيم عند الاعتراف حيث نجرّب بالتلهي بخطايا غيرنا. المهم ان تعترف بخطاياك انت.

قد يقول البعض ان الانسان لا يستطيع عند الاعتراف ان يتذكر كل شيء فعله. صحيح لكن الله يغفر لنا اذا جئنا اليه بصدق وحاولنا بكل جوارحنا ان نتذكر كل ما فعلناه ونعترف به. عبر الصدق والاخلاص الكاملان يغفر لنا كل ما فعلناه ، حتى ما نسيناه. اما اذا اخفيانا الخطايا، وان كانت صغيرة ، فلن نحصل على الغفران لاننا لم نتب عنها.

في المسيحية الخطيئة ليست للشفقة ولا مجال لتبريرها او القاء اللوم على الغير.
الخطيئة حالة تُواجه وتُحارب وتُرفض والله يغفر للتائب ، كما يحصل في سر المعمودية :
نرفض الشيطان ونقبل المسيح ونعتمد أي ندخل الملكوت. وهكذا فان الاعتراف هو تجديد
دائم لمعموديتنا ولعضويتنا في جسد المسيح.